Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

روايات مولود فرعون
مقاربة سيميائية لأسماء الشخصيات الأساسية

جبور أم الخير
جامعة وهران–الجزائر
amelkheir@gmail.com

Abstract: *Reading is nothing but rebuilding the text by reconstructing its intent. From this point of view, we seek in our study to express the hypothesis of interpretation and reading from the standpoint of utopias, following the exploratory strategy, searching for the hidden meaning within the apparent meaning, and to reveal the latent esoteric facts, as what we seek is to replace the author and dive into his ideas and experiences until we realize the moment of the emergence of the meaning, as well as identifying The intent of speech. The process of exploring the novels of Mouloud Feraoun opens before us, as readers, the process of interpretation and guesswork of distant visions, the writer wanted us to share them, and although the text is only read in its historical presence, but it remains possible to travel to that past - the stage of the first and second world wars - and to the landmarks that embody it. Finally, we concluded that the name of the novelist is one of the intertwined and continuous episodes in the creative work.*
***Key words**: The novels of Mouloud Feraoun, topic, fictional character, the novel, interpretations.*

الملخص: ما القراءة إلا إعادة بناء النص من خلال إعادة بناء قصده. ومن هذا المنطلق نسعى في دراستنا لإبداء فرضية التأويل والقراءة من منطلق الطوبيك متبعين الاستراتيجية الاستكشافية باحثين عن المعنى الخفي داخل المعنى الجلي، ولكشف الحقائق الباطنية الكامنة، إذ ما نسعى إليه هو الحلول محل المؤلف والغوص في أفكاره وتجاربه حتى يتحقق لنا إدراك لحظة انبثاق المعني وكذا تحديد مقصود الخطاب. إن عملية استكشاف روايات مولود فرعون تفتح أمامنا كقراء عملية التأويل والتخمين لرؤى بعيدة، أرادنا الكاتب أن نشاركه فيها، ورغم أن النص لا يقرأ إلا في حضوره التاريخي لكن يبقى السفر ممكنا إلى ذلك الماضي-مرحلة الحرب العالميتين الأولى والثانية- وإلى المعالم المجسدة له. واستخلصنا في الأخير إلى أن اسم الشخصية الروائية يعد حلقة من ضمن الحلقات المتشابكة والمتواصلة في العمل الإبداعي.
الكلمات المفتاحية: روايات مولود فرعون، الطوبيك، الشخصية الروائية، الرواية، التااويل.

تحقق الرواية منطقة لقاء بين قارئ ما وبطل ما، فتنسج روابط من التعاطف والألفة في عالم هو مزيج من الخيال والواقع، عالم خاص نحاول دوما أن ننظر لفضائه ومستوياته الفنية والبنائية، فتتحقق لنا عملية المتابعة والمجادلة لأبسط التفاصيل وأصغرها، راجين بذلك أن تتفتح الآفاق واسعة لولوج عالم ورقي وشخصيات ورقية تنسينا الواقع والحاضر، فيتم الكشف عن المشار إليه وعن الرمزي. وما أكثر الأفكار والمفاهيم التي تزخر بها الرواية،

بعضها يتسرب إلى ذواتنا في هدوء وسكينة وبعضها الأخر يحرك فينا إعمال العقل ويطرح علينا ألف سؤال وسؤال. وقد أصاب إيكو حين شبه النص بتلك الآلة الكسولة التي تحتاج إلى قارئ نموذجي يبادر بالتأويل والفهم[1] ، إذن فنحن في دراستنا هاته سنبادر بفرضية التأويل والقراءة من منطلق الطوبيك ***(topic)*** كما سماها "إيكو" متبعين الاستراتيجية الاستكشافية باحثين عن المعنى الخفي داخل المعنى الجلي، فما القراءة إلا إعادة بناء النص من خلال إعادة بناء قصده.

إننا نسعى إلى كشف الحقائق الباطنية الكامنة و التي لا تتجلى من اللحظة الأولى، حقائق غير متوقعة تدهشنا و تثيرنا و توقظ عوالم الإدراك فينا ، نسعد لوجودها و نسعد أكثر لأننا تنبهنا لرمزيتها، إذ في النص أماكن التحديد و أماكن اللاتحديد أين نعثر على الغموض و التلميحات و الرموز الغامضة والبياض[2] « فالكشف عن ماهية الأنساق المتداخلة للنص الروائي و محاولة تحليلها يؤدي إلى استخلاص العلاقات التي تربط مختلف بنيات النص و الخطاب و إلى معرفة النظام الكامن وراء الرواية أي العثور على الثابت وراء المتحول"[3] فعملنا أقرب إلى الفعل التكهني ،إذ ما نسعى إليه هو الحلول محل المؤلف و الغوص في أفكاره و تجاربه حتى يتحقق لنا إدراك لحظة انبثاق المعني وكذا تحديد مقصود الخطاب.

إن عبقرية مولود فرعون تبدو بالفعل في اختياره الدقيق لموضوعاته، فمواضيعه ذات طابع خصوصي بحت، بل هي تنمو من تجربته الخاصة. فقد انتقى الروائي بطل نصه "الأرض والدم " و "الدروب الوعرة" من جيل الشباب، وامتلكت هذه الشخصية إحساسا باللامكان في عالم اتسم بالدناءة والانحطاط (الخيانة والفقر) عالم ضاقت فيه الأرض على صاحبها بما رحبت فبينما يكون العثور على مكان بالنسبة للفرنسي يسيرا سواء تعلق الأمر بالوطن الأم فرنسا أو الوطن المتبني الجزائر، فالنقيض يحدث للجزائري إذ يحيا حالة اغتراب أبدي فهو لامنتم سواء تعلق الأمر بالجزائر أو فرنسا.

لمس الروائي "مولود فرعون" صلة الكل مع الكل - فالإنسان كما يرى بيرس في كليته علامة بفكره ومشاعره) - [4]" وأعطى لأبسط الأشياء (اسم البطل كبديل عن الموجود أو الكائن في الواقع الحقيقي أو الروائي لحظة غيابة وكإشارة لفظية استبدلت الإشارة الحسية وحلت

[1] Mouloud Feraoun, La terre et le sang éd Seuil1953, Mouloud Feraoun, Les chemins qui montent éd Seuil 1957.
[2] Enberto eco lactor in fabula, trad myriem bonzaher,ed grasset 1985,p104.
[3] « mechael otten, sémiologie de la lecture p345, éd duculot paris, 1989.
[4]مدخل إلى السيميوطيقا، إشراف سيزا القاسم دار إلياس العصرية ص18/17

محلها) معنى حقيقيا للحياة في مرحلة التواجد الفرنسي. فقد سعى من خلال روايتيه –كما سنوضح لاحقا- بالمحتوى الأدبي والحياتي إلى تحقيق مبدأ التطور الموحد والشامل للشخصية الإنسانية، أي الصراع ضد العراقيل الداخلية والخارجية التي تقف حاجزا منيعا أمام اكتمال الشخصية الإنسانية فكرا وعملا.

إن نجاح الرواية يتكامل بتقنياتها و عامل الاستمرار فيها و الروائي "مولود فرعون" في نصوصه حقق ما يطلق عليه الرواية المستمرة لأنها لم تفقد من حاليتها إلى وقتنا هذا كما جعلها تستمر باسم بطلها والاسم كعلامة يستوقفنا بين التسليم باعتباطيته أو مقصوديته ***Signe arbitraire*** أي في علاقة الدال بالمدلول أو العلامة بموضوعها ،فأين المنطق في استخدام الروائي لاسم "عامر" هل هي الصدفة أم الإرادة المقصودة لمولود فرعون حتى يجعل من هذا الاسم أيقونة و مؤشرا و رمزا في الوقت نفسه ، الأكيد أن الروائي نزع إلى كتابة نصه الروائي و هو يحلق فوق نصوص و كتابات موجودة سلفا ففي أوقات عديدة يكون الاسم شفافا إلى درجة تجعله يحمل تنبؤات بمصير صاحبه إلى القارئ فهو عامل هام في مقروئية النص و في إيصال الخطاب .و ليس غريبا كل ذلك ، فهذه الروايات ما هي إلا اعتراض إنساني ضد الوجود الاستعماري ،فالبطل "عامر "بالفرنسية **AMER** -و اختصار للاسم الكامل "عميروش" يقدم كشخصية استثنائية مع الفتاة التي يحب (ذهبية)،إذ لا شبيه لهما في هذه القرية المعزولة حضاريا (فهي أي ذهبية من أبويين جزائريين و لكنها مسيحية الديانة و عامر " البطل " ثمرة زواج مختلط فرنسي جزائري) ،فهما حالتان فرديتان بعيدة عن العموم (عامر الكاتب لمذكراته من منطلق أن المسجل لن يضيع مع الوقت وإذا كان كل صوت يبهر فإن كل مكتوب يحرك التفكير)-،يتخذ قرار الابتعاد عن المجتمع بعد شعوره بالاشمئزاز من تفاهة هذا العالم و هذا الانعزال المتعمد لكل نشاط أو عمل فتح باب حياته و عمله لقوى شيطانية ،حينذاك تحولت مأساته إلى مأساة القرية و في آن واحد إلى مأساة الجزائر نفسها ، فكان كافيا لأبسط حركة غير مناسبة أن تحدث الكارثة (الموت اللغز في الروايتين).

لقد استوعب مولود فرعون بصورة صحيحة الواقع، فأبرز التفاعل الحي بين الحياة الاجتماعية وكينونة الإنسان وعكس ذلك على أسماء الشخصيات الروائية، فالأسماء تقف كعلامات وتنوب وتعوض المحتوى الكلي للنص، وهذا ما أشار إليه بيرس بقوله:" أنه يخلق عنده علامة موازية أو

علامة أكثر تطورا، إن العلامة التي يخلقها أطلق عليها مؤولا للعلامة الأولى وهذه العلامة تحل محل شيء، موضوعها"[5]

إن عملية استكشاف روايات مولود فرعون تفتح أمامنا كقراء عملية التأويل والتخمين لرؤى بعيدة، أرادنا الكاتب أن نشاركه فيها، ورغم أن النص لا يقرأ إلا في حضوره التاريخي لكن يبقى السفر ممكنا إلى ذلك الماضي-مرحلة الحرب العالميتين الأولى والثانية- وإلى المعالم المجسدة له. إن أسماء الشخصيات معالم وعلامات وظفها الكاتب لتنظم المحتوى الكلي للعمل، فهي جزء من الخطاب السياسي العام الذي استهدفه مولود فرعون، وهذا ما طرحه " رولان بارث "ضمن مجموعة من الأسئلة: هل كل ما يحتويه الخطاب له وظيفة ما؟ وهل لأبسط معلومة دلالة محددة؟ وهل يمكن أن يقسم الخطاب إلى وحدات وظيفية[6]؟

يتساءل القارئ وهو يتمتع بقراءة رواية من الروايات عن الدوافع التي حركت الكاتب لاختيار شخصية ما دون سواها ولاختيار اسم محدد دون غيره، فالخيارات كثيرة والروائي وعيا منه أو دون وعي ينتقي بحرية تامة ما يميل إليه ويختار ما عثرنا عليه مسجلا على صفحات الرواية. بعد أخد ورد وبعد تردد فمثلا الكاتب الفرنسي "إميل زولا " وهو يجهز لروايته "لسعادة السيدات" ***Au bonheur des dames*** تردد كما يشير مخطوط الرواية بين اسم "لويز ودنيز et Louise Denise " كاسم للبطلة وهذه الظاهرة نجدها عند (روب قريي وبيكت- ***Beckett et Robbe-Grillet***) فنصوصهما مفتوحة أمام تعدد الأسماء لشخصية واحدة وقد يحدث العكس، وتتعدد الشخصيات التي تتشارك الاسم الواحد. والأكيد ألا شيء يحدث صدفة أو اعتباطا بل هي خيارات تحدد مصير الرواية نجاحا كان أم فشلا[7].

حاول مولود فرعون أن ينتقي اسما له وجود في الثقافتين العربية والفرنسية، ففي اللغة العربية يستخدم هذا الاسم للدلالة على معنى إيجابي، ف"عامر "اسم يقصد منه ساكن الدار، أو الذي يعيش زمنا طويلا، بل هو اسم يحمل مشاعر الأمل في أن يبقيه الله ويطيل عمره.
أما في اللغة الفرنسية فلا وجود له كاسم بل يوظف كصفة بمعنى المرارة وامتلاك مذاق مقزز، أو الذي يجلب الألم بقسوته وطغيانه.

---

[5] المرجع نفسه ص172.

[6] سعيد بنكراد، السيميائيات، منشورات الزمن، ص62.

[7] Roland Barthes, Introduction à l'analyse structurale des récits éd Seuil81 ,p16.

Amer : adj, qui a une saveur rude et désagréable ; qui apporte du doleur par sa dureté, sa méchanceté[8]

فاسم "عامر "كما فصلنا يستقي دلالته الثقافية واللغوية من العربية والفرنسية والإنسان الذي يعيش في اللغة على حد قول بنفست يعيش في الثقافة أيضا فالعلاقة متبادلة بين اللغة والثقافة ومعظم الدراسات السيميائية تؤكد أن العلامات تستمد دلالتها من السياق الثقافي، فهي حاملة وموصلة لرسالة أو حالة أو موقف (كاللون الوردي للبنت والأزرق للولد، واللون الأسود للحزن)[9] " بل إن "موكارفسكي ***Mukarovsky*** .إمن مدرسة براج يرى في العلامة نقطة التقاء بين الإبداع الذاتي والوعي الجماعي والحياة.

و رغم التناقض الذي يلمس بين مفهوم الكلمة من اللغتين العربية و الفرنسية من حيث الدلالة المعجمية (الإيجابي/و السلبي) و رغم ما ذهب إليه "تروبتسكي "على أن اللغة نظام يقوم أساسا على الاختلافات أي على التعارضات في إطار الصوتيات بحيث أنها أي اللغة أداة لاختزال عدد لانهائي من الأشياء والحالات في أعداد محدودة من العناصر الصوتية و النحوية و الدلالية في اللسان الواحد كاللسان العربي(قلب/ كلب)[10] لكن الوضع يختلف إذا تعلق الأمر بلسانين (العربي و الفرنسي) إذ ينحصر الاختلاف في المقام الأول على المستويين النحوي و الدلالي دون أن يمس الجانب الصوتي إلا مسا طفيفا، يبقى إذن أن نتساءل إلى أية درجة يقارب عامر البطل الروائي بين المفهومين ؟

يحمل اسم "عامر" ككلمة عربية تناقضه في حروفه فإذا قسمناه إلى جزئيه الصوتيين، نجده بهذا الشكل عا مر، فالجزء الثاني مر، يطابق المعنى القاموسي اللغوي والثقافي الفرنسي (الجانب الصوتي العربي يجانس الجانب الدلالي الفرنسي). أما تقسيم الكلمة الفرنسية Amer فتكشف لنا في جزئها الأخير عن الموت (أي أن الجانب الصوتي الفرنسي يجانس الجانب الدلالي للرواية)

إذن سواء تعلق الأمر بالجانب الدلالي للرواية أو بالجانب الصوتي العربي والفرنسي، فإننا نلفي نقطة ارتكاز مشتركة متمثلة في (المرارة والموت)، فعامر مسجلا مذكراته خصص حيزا لا بأس به للموت التي تتعدد محتفظة بكينونتها، فكل موت تبقى بعيدة عن الإدراك:

[8] Philippe Hamon ,Poétique du récit, éd Seuil77 p143.
[9] Dictionnaire encyclopédique larousse.
[10] Universalis, Dictionnaire encyclopedia.

- موت والدته بعد صراع مع المرض دام شهرا.
- موت صديقه " سعيد" في الغربة والذي دفن هناك في بوبيني. ص189
- موت ذلك المعلم الذي لم يستيقظ من نومه المعهود.
- موت "رحمة" تلك الجارة التي أصيبت بالجنون فقررت الانتحار (لابد أن يجن الانسان حتى ينتحر، ص178)
- موت إحدى نساء آيت حموش. ص113

المعروف تاريخيا أن صدور الروايتين تم في ظروف خاصة من تاريخ الجزائر، و في مرحلة انتقالية من مرحلة الاستسلام إلى مرحلة الثورة ، فرواية "الأرض و الدم" ظهرت سنة 1953، أما رواية "الدروب الصاعدة فكان صدورها سنة1957 ، و الروايتان مترابطتان موضوعا و مكانا بل تحملان في بنيتهما ذاكرة واحدة وهي ذاكرة تحاول أن تنظم مختلف الوحدات اللغوية و الدلالية للنص ضمن مسار معقد تحكمه علاقات تناقضية و ضدية .و من منطلق المسلمة البنيوية التي تزعم أن إدراك النص وفهمه يتأسس على اختلافات جوهرية تمفصل المضمون (كبير /صغير) (أعلى /أسفل) (مريض /معافى) ، يمكننا أن نجزم حول الروايتين بما يلي:

فالبطل "عامر" في رواية (الأرض و الدم) هو والد "عامر" في(الدروب الصاعدة) من جيل الشباب يضطر للهجرة إلى فرنسا عسى أن يحقق هناك أحلامه ،لكن سرعان تتحطم هذه الأماني على صخور الواقع المر وراء البحر، فيقرر العودة إلى موطنه و قريته ، برفقة زوجته الفرنسية ،و لكنه يلمس تناقضا بين قيم المجتمع القبائلي المحافظ ، الثابت مكانيا وزمنيا و بين التطور الحضاري الغربي الدائم الحركة، ويدفعه هذا التناقض إلى الهروب نحو اليأس الانتحاري(المادي –الفقر- و المعنوي- العبودية للآخر-) موت الأحلام مع بداية الطريق و نهاية الرحلة و الموت الجسدي كلحظة رمزية.

أما عامر في الدروب الصاعدة فهو الابن الشاب الوسيم ،الأنيق و الطيب المتفائل في البداية والضائع بين التناقضات نفسها و المتشائم لدرجة اليأس من الحياة بعد مرور ستة أشهر فقط من رجوعه إلى القرية، إنه يشبه والده في سفره لفرنسا و فشله في تحقيق أحلامه رغم انتمائه الجزئي لهذا البلد (والدته ماري الفرنسية)" الآن ،فهمت أن السعادة ، الجنة و الهناء في هذا المكان و كذا الجحيم و الحياة القاسية و التعيسة"ص166، فمرارة الحياة ترافقه حيثما حل ، كما أن رؤيته المأساوية التي تشعره بانعدام الحلول الفورية ،تزيد من حدة يأسه

وتفتح الأبواب واسعة لإمكانية الموت كانتحار بقرار ذاتي أو بفعل فاعل يجهل تفاصله وملابساته، فهو موت يساوي في الحالتين الرفض الكلي للخسة والتنازل، فالبطل الذي يختار الانتحار أو يقتل في حادث قدري أو مدبر (الروائي لا يحدد ذلك لقرائه ، بل تعمد إشراكهم كعامل فاعل في إنتاج مقصودية النص) بل يفتح الأبواب على مصرعيها لتسهيل ذلك ذاتيا أو بتدخل فاعل آخر ،فهو في الحقيقة لا يتنازل عن مثله الإنسانية و عن قناعته الخاصة مهما كانت الضغوطات قوية ،يقول مولود فرعون واصفا إياه: "لماذا يخفي كرمه على البسطاء وطيبة قلبه، و احتقاره تجاه الأغنياء والظلم و التزييف "ص38 . ولذلك حينما يتحدث الروائي "مولود فرعون " عن الموت يذكر أنه أشبه بأرض تنادي على أبنائها الذين ينسونها، فمن الناحية النفسية والإنسانية فهذه الشخصيات وفي لحظة الموت، ماتت قبل أن تموت؟ وعامر من هؤلاء. أوليس الجزائري في تلك المرحلة كرمز مغيب مات دون موت حقيقي؟ إن قضية عامر أوسع من حب ذهبية، فهي قضية وجود وهوية وحب للوطن، يقول هذا البطل: يا إلهي، إننا نتألم ونموت كالحيوانات، ولا نملك ما ندافع به عن أنفسنا، بل نبكي دموع الضعف والاستسلام" ص151

أما عن أهم الاختلافات التي تمفصل الموضوع في الروايتين وتجعلهما متقاربين إلى حد كبير:

- فرنسا/الجزائر.
- القيم الحقيقية التي ينبغي أن تمارس في الواقع/الزيف والنفاق والخداع وسط المجتمع القبائلي.
- الغربة/ العودة إلى الوطن
- الحياة الذليلة /الموت التافه
- تحقيق الكينونة الإنسانية/ انعدام ما ينبغي أن يكون.
- الوحدة /الجماعة الفارغة من المعنى.

ويبقى أن نقول في الأخير أن اسم الشخصية الروائية يعد حلقة من ضمن الحلقات المتشابكة والمتواصلة في العمل الإبداعي، فعامر سواء في رواية "الأرض والدم "أو "الدروب الصاعدة" يعكس بدلالة اسمه مرارة المرحلة التاريخية عموما ومرارة الحياة بالنسبة للفرد المتمسك بالمبادئ والقيم، إذن هي مرارة تلازم الجزائري مكانيا وزمنيا دون أن يمتلك رؤية واضحة

لحلول ممكنة أو فورية، وحينذاك يصبح الموت بمختلف أشكاله وبمعناه الواسع البديل الوحيد والمناسب والمنقذ من حالة اللاحياة واللاموت.

References

[1] Mouloud Feraoun, La terre et le sang éd Seuil1953.
[2] Mouloud Feraoun, Les chemins qui montent éd Seuil 1957.
[3] Enberto eco lactor in fabula, trad myriem bonzaher, ed grasset 1985, p104
[4] Roland Barthes, Introduction à l'analyse structurale des récits éd Seuil81.
[5] Philippe Hamon, Poétique du récit, éd Seuil.
[6] Dictionnaire encyclopédique Larousse.
[7] Universalis, Dictionnaire encyclopedia.
[8] Mechael otten, sémiologie de la lecture éd duculot paris 1989.
[9] Madkhal ilá al-Sīmiyūṭīqā, ishrāf Sīzā al-Qāsim Dār Ilyās al-'Aṣrīyah ṣ17/18
[10] Sa'īd Bingarād, al-sīmiyā'īyāt, Manshūrāt al-zaman, ṣ62.
[11] Ahrenholz, Bernt (Hrsg)